بسم الله الرؤوف بلا نهاية الذي ينبغي أنْ نحبّه من كلّ كياننا

حبّ الله والجار معاً
جواب مسيحيّ لرسالة "كلمة سواء بيننا وبينكم"

تمهيد

لقد شجّعتـنا كثيرًا، كمسيحيين، وأثرت بنا بعمق الرسالة التاريخية المفتوحة التي وقـّعها 138 من ابرز العلماء والمشايخ والمفكّرين المسلمين من أنحاء العالم. إذ تحدّد 'كلمة سواء بيننا وبينكم' أرضيّةً مشتركة جوهريّة هامّة بين المسيحيّة والإسلام والتي موقعها في لبّ كلّ من ديانتيْنا وكذلك في لبّ الديانة الإبراهيمية الأقدم، اليهوديّة. فقد كانت دعوة السيد المسيح إلى حبّ الله وحب الجار متأصّلة في الوحي الإلهي الموجّه إلى بني إسرائيل والمدون في التوراة (تثنية 5:6؛ لاويين 18:19). وإننا نتسلّم الرسالة المفتوحة باعتبارها يدَ التقاءِ مودّة وتعاون ممدودة من المسلمين نحو المسيحيين في أرجاء العالم. ونحن في جوابنا هذا، في المقابل، نمدّ يدنا المسيحيّة لكي يمكننا العيش معاً ومع جميع البشر الآخرين في سلام وعدالة بينما نسعى في حبّ الله وحب جيراننا.

لم يصافح المسلمون والمسيحيون بعضهم البعض في مودّة على الدوام في التاريخ، فقد اتّسمت العلاقات فيما بينهم في بعض الأحيان بالتوتر، بل وبالعدائية الصريحة. وبما أن السيد المسيح يقول في الإنجيل: {يَا مُرَائِـ ـي، أَخْرِجْ أَولاً الْخَشَبَةَ مِنْ عَيْنِكَ، وَحِينَئِذٍ تُبْصِرُ جَيِّدًا أَنْ تُخْرِجَ الْقَذَى مِنْ عَيْنِ أَخِيكَ} (متّى 7: 5)، فإننا نودّ البدء بالإقرار بأن العديد من المسيحيين في الماضي (في الحروب الصليبية مثلاً) وفي الحاضر (في تجاوزات ما يسمّى 'الحرب على الإرهاب' مثلاً) قد أذنبوا بارتكابهم آثاماً ضد جيراننا المسلمين. فقبل أن "نصافحكم" رداً على رسالتكم، نطلب مغفرة الله الرّحيم وصفح الأمّة الإسلاميّة في جميع أنحاء العالم.

سلام دّيني - سلام عالمي

"يشكّل المسلمون والمسيحيون معاً ما يزيد على نصف سكان العالم. ولا يمكن أن يكون هناك سلامٌ مُجدٍ في العالم من دون إحلال السلام والعدالة بين هذين المجتمعين الدينيين." إننا نشارك المسلمين الموقـّعين على الرّسالة مشاعرهم التي تعبّر عنها هذه السطور التي افتتحوا بها رسالتهم المفتوحة. تمثـّل علاقات السلام بين المسلمين والمسيحيين أحد أهم تحديات هذا القرن، إن لم يكن العصر الحالي برمّته. وبالرغم من أن التوترات والصراعات، وحتى الحروب، التي يقف فيها مسيحيون ومسلمون بعضهم في وجه بعض، ليست ذات طابع ديني في الأساس، إلا أنها تحمل بُعداً دينياً لا يمكن إنكاره. وإذا ما أمكننا تحقيق سلام ديني بين هذين المجتمعين الدينيين، فمن الواضح أن تحقيق السلام في

العالم سوف يكون أسهل منالاً. ولذلك لا مبالغة في القول كما قلتم في "كلمة سواء بيننا وبينكم": إن "مستقبل العالم يعتمد على السلام بين المسلمين والمسيحيين."

أرضيّة مشتركة

إنّ ما هو استثنائيّ بخصوص "كلمة سواء بيننا وبينكم" لا يكمن فقط في إدراك موقـّعيها للسمة المصيرية للوقت الراهن في العلاقات بين المسلمين والمسيحيين، بل تكمن في استصحاب البصيرة العميقة والشّجاعة لدى تحديدهم للأرضيّة المشتركة بين المسيحيين والمسلمين. فإنّ المشترك بيننا لا يكمن في أمر هامشي ولا في أمر هامّ فقط بالنسبة إلى كلّ منـّا، بل في أمرٍ مركزيّ جداً لكلينا هو: حبّ الله وحبّ الجار. وقد يبدو مفاجئاً للعديد من المسيحيين أن تعتبر رسالتكم الوصيتين لحب الله وحب الجار أساسيتين لا في الدين المسيحي فحسب، بل بالنسبة إلى الدين الإسلامي كذلك. وإن وجود هذا القدر الكبير من الأرضيّة المشتركة – أرضيّة مشتركة في بعض أساسيّات الإيمان – كافٍ بمنحنا أملاً بأن تكون الاختلافات التي لا يمكن إنكارها، وحتى الضغوطات الخارجيّة الواقعيّة والتي تلقي بثقلها على كاهلنا، من غير الممكن أن تحجب الأرضيّة المشتركة التي نقف عليها معاً؛ وإن هذه الأرضيّة المشتركة التي أساسها حبّ الله وحبّ الجار تمنحنا أملاً في إمكانية أن يصير التعاون العميق بيننا السمة المميزة للعلاقات بين مجتمعَيْنا.

حبّ الله

إننا نثني على أن "كلمة سواء بيننا وبينكم" أكّدت وبإصرار بالغ على الإخلاص المفرد لله الواحد، بل والمحبة لله، كالفرض الرئيسي على كلّ مؤمن. فالله وحده يستحقّ بحقّ ولاءنا المطلق. وعندما ينال أي شخصٍ أو أي شيءٍ غير الله ولاءنا المطلق – حاكم أو وطن أو تقدّم اقتصادي أو أي شيءٍ آخر – فسينتهي بنا الأمر إلى خدمة أصنام وإلى تورط حتمي في وحل صراعات عويصة ومهلكة.

إن مما يثلج قلوبنا القول بأن الله - الذي ينبغي أن نحبّه فوق جميع الأشياء – يوصَف بكونه محبة. وفي التعليم الإسلامي إن الله "ربّ العالمين" هو "الرّحمن الرّحيم". والإنجيل يذكر بوضوح أن {اللهُ مَحَبـة} (يوحنا الأولى 4: 8). وبما أن رحمة الله مطلقة لا يحدّها شيء، فإن الله {يُشْرِقُ شَمْسَهُ عَلَى الأَشْرَارِ وَالصالِحِينَ، وَيُمْطِرُ عَلَى الأَبْرَارِ وَالظالِمِينَ}، كما يقول السيد المسيح في الإنجيل (متّى 5: 45).

بالنسبة إلى المسيحيين، فإن حبّ البشر لله وحبّ الله للبشر مرتبطان بشكل وثيق، كما نقرأ في الإنجيل: {نُحِب لأَنهُ [الله] هُوَ أَحَبنَا أَولاً} (يوحنا الأولى 4: 19). وينبع حبّنا لله من حبّ الله تعالى لنا ويتغذّى منه؛ ولا يمكن أن يكون الأمر غير ذلك إذ البارئ القادر على كلّ شيء هو الرحمن.

حبّ الجار

إننا نجد تآلفاً وثيقاً مع إيماننا المسيحي في تأكيد "كلمة سواء بيننا وبينكم" على أن الحبّ هو ذروة واجباتـنا تجاه جيراننا. قال النّبي محمّد "لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه [وقال: لجاره] ما يحّب لنفسه". ونقرأ في الإنجيل شبيه ذلك: {مَنْ لاَ يُحِب [جاره] لَمْ يَعْرِفِ اللهَ} (يوحنا الأولى 4: 8)، {مَنْ لاَ يُحِب أَخَاهُ الذِي أَبصَرَهُ، كَيْفَ يَقْدِرُ أَنْ يُحِب اللهَ الذِي لَمْ يُبْصِرْهُ} (يوحنا الأولى 4: 20). {اللهُ مَحَبـة} (يوحنا الأولى 4: 8)، ودعوتـنا العظمى كبشر هي أن نتخلّق بأخلاق الخالق الذي نعبده.

كما أننا نوافقكم عندما تقولون بأنّ "العدالة وحرية الدين عنصران هامّان في شأن محبة الجار". فعندما نفتـقر إلى العدالة، لا يمكن لا لحبّ الله ولا لحبّ الجار أن يكونا حاضرَين. وعندما يتم تقييد حرية المرء في عبادة الله وفقاً لما يمليه ضميره، يُهان الله ويتعرّض الجار للقمع وليس هناك حب لله ولا للجار.

وحيث أن المسلمين يسعون في حبّ جيرانهم المسيحيين، فهم ليسوا ضدهم، كما تصرّح الرسالة على نحو مشجّع، بل المسلمون معهم. وإننا كمسيحيين نتّفق بعمق مع هذه المشاعر. إذ يعلـّمنا إيماننا المسيحي بأنّنا يجب أن نكون مع جيراننا – بل وأكثر من ذلك، أن نعمل من أجل مصلحتهم، حتى حين يكون جيراننا أعداء لنا. يقول السيد المسيح في الإنجيل: { وَأَما أَنَا فَأَقُولُ لَكُمْ: أَحِبوا أَعْدَاءَكُمْ. بَارِكُوا لاَعِنِيكُمْ. أَحْسِنُوا إِلَى مُبْغِضِيكُمْ، وَصَلوا لأَجْلِ الذِينَ يُسِيئُونَ إِلَيْكُمْ وَيَطْرُدُونَكُمْ، لِكَيْ تَكُونُوا أَبْنَاءَ أَبِيكُمُ الذِي فِي السمَاوَاتِ، فَإِنهُ يُشْرِقُ شَمْسَهُ عَلَى الأَشْرَارِ وَالصالِحِينَ، وَيُمْطِرُ عَلَى الأَبْرَارِ وَالظالِمِينَ} (متّى 5: 44-45). يقول السيد المسيح إن محبّـتـنا ينبغي أن تتخلّق بمحبّةّ الخالق الذي لا نهاية لرحمته ويجب أن تكون غير مشروطة، مثل محبّة الله – تمتدّ إلى الأخوة والأخوات والجيران وحتى الأعداء. وفي ختام حياة السيد المسيح، دعا من أجل أعدائه: {اغْفِرْ لَهُمْ، لأَنهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ مَاذَا يَفْعَلُونَ} (لوقا 23: 34).

ولقد فعل النـّبي محمّد شيئاً مماثـلاً حين رفضه أهل الطائف بوحشية ورموه بالحجارة. فقد رُويَ عنه أنّه قال: "أفضل الفضائل أن تصل من قطعك وتعطي من حرمك وتصفح عمّن ظلمك". (ولعلّه من الأهمية أن نذكر أنه بعد إخراج النبي محمد من الطائف، كان العبد عدّاس النصراني هو الذي أقْبَل على محمّد وأحضر له طعاماً وقبّله).

المهمّة أمامنا

تحثّ رسالتكم الشُجاعة قائلة "ولتكن هذه الأرضيّة المشتركة" – الأرضيّة المشتركة الثنائية من حبّ الله وحب الجار – "أساس جميع اجتماعات الحوار بين الأديان في المستقبل فيما بيننا". وبالفعل إنكم تُجسّدون ما تدعون إليه بالكرَم الذي كُـتبَت به رسالتكم. وإننا نتـفق مع دعوتكم من أعماقنا. يجب أن نلتزم بالحوار بين الأديان متخلّين عن كلّ "كراهية وشقاق"، وساعين في الخير بعضنا لأجل البعض، لأنّ الله الواحد يسعى لأجلنا في الخير دون انقطاع. وإننا بالتأكيد نؤمن معكم بأنه يجب علينا أن نمضي أبعد من "مجرد حوار 'مسكوني' مهذب بين صفوةٍ مختارة من القادة الدينيين،" وأن نعمل معاً بلا كلل لإعادة تشكيل العلاقات بين مجتمعاتنا ودولنا بما يعكس بصدق حبّنا المشترك لله تعالى ولبعضنا البعض.

ونظراً للشروخ العميقة في العلاقات بين المسيحيين والمسلمين اليوم، فإن المهمّة التي أمامنا شاقة، والتحديات عظيمة. يعتمد مستقبل العالم على قدرتنا كمسيحيين ومسلمين على العيش معاً بسلام. وإذا ما أخفقنا في بذل كل الجهود الممكنة لإحلال السلام والالتقاء معاً بانسجام، فإن نفوسنا الخالدة، كما تذكّروننا عن حق، في خطر أيضًا.

إننا مقتـنعون بأن خطوتنا التالية يجب أن تتمثّل في التقاء قادتـنا على كافة المستويات بعضهم مع بعض، والبدء بالعمل الصّادق الدؤوب لتحديد الطريقة التي يريدنا الله تعالى أن نفيَ بها بواجب حبّه وحبّ بعضنا البعض. لقد تسلّمنا رسالتكم الكريمة بتواضع وأمل. ونحن نلزم أنفسنا بالعمل معاً قلباً ونفساً وفكراً وقدرةً لتحقيق الأهداف النبيلة التي اقترحتموها.